الفصل الخامس
البيت المسلم وتزيينه

أولاً : تنظيف البيت وتجميله :

(أ) عمل المرأة فى بيتها :

قال الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين :

« ومن آداب الزوجية أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها ، فقد رُوِىَ فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، أنها قالت : « تَزَوَّجَنِى الزبير وماله فى الأرض من مالٍ ، ولا مملوك ، ولا شىء غير فَرَسِهِ ونَاضِحِه ، (أى بعيره الذى يحمل له الماء) فكنت أعلفُ فرَسَه ، وأكفيه مؤنته ، وأدق النوى لنَاضِحه ، وأسقى الماء ، وأخرز غَرْبَه (دَلْوَه) ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثُلُثَىْ فرسخ ، حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بجارية ، فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى .

ولقيت رسول الله ﷺ يومًا ومعه أصحابه والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : أخ أخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه ، فاسْتَحْيَيْتُ أن أسير مع الرجال ، وذكرتُ الزبير وغيرته ، وكان أغْيَرَ الناسِ ، فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت ، فجئت إلى الزبير وحكيت له ما جرى فقال :

« والله لَحَمْلُكِ النَّوى على رأسِك أَشدُّ عَلَىَّ من ركوبك معه » .

وتدل هذه الرواية على واجبين رئيسيين من أهم واجبات الزوجة هما :

ـ الخدمة فى بيتها ، وخدمة زوجها .

ـ احترام الزوجة لمشاعر زوجها .

فهذه أسماء بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنهما ، تعمل فى بيتها ، وتخدم زوجها ، وتحترم مشاعره .

ونظرًا لما تعلمه من غيرته الشديدة عليها رفضت أن تركب مع الرجال ، برغم أن الدعوة موجهة إليها من رسول الله ﷺ :

مزية شغل المرأة فى الأمور المنزلية :

يذكر المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فى كتابه الإسلام عقيدة وشريعة :

« إذا كان القرآن الكريم قد اعتبر ـ فى مقام الشهادة ـ امرأتين مقابل الرجل ، وقد علل ذلك فى الآية الكريمة :

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾(١) . أى : فإذا ما نسيت إحداهما ذكَّرتْهَا الأخرى ، فإنه ليس من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها ، حيث تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى من شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل . ومن طبع البشر عامة أن تقوى ذاكرتهم للأمور التى تهمهم ويمارسونها ويكثر اشتغالهم بها» .

(ب) نظافة البيت وتزيينه :

قبل أن يعنى الإسلام بالزينة وحسن الهيئة وجه عناية أكبر إلى النظافة ، فإنها الأساس لكل زينة حسنة وكل مظهر جميل .

وقد روى عن الرسول ﷺ :

« تنظفوا فإن الإسلام نظيف »(٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٢ .

(٢) رواه ابن حبان بسند ضعيف .

« النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه فى الجنة »(١) .

وقال ﷺ :

« إن الله تعالى طَيِّبٌ يُحب الطَّيِّبَ ، نظيفٌ يحب النظافة ، كريم يحب الكَرَمَ ، جَوادٌ يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تَشَبَّهُوا باليهود »(٢) .

وقد حَثَّ رسول الله ﷺ على نظافة البيوت ونظافة الطُّرق . وبالإضافة إلى توجيهات الرسول الكريم أن يكون البيت المسلم نظيفًا فإن النبى ﷺ يحب سعة الدار، ويعد ذلك من عناصر السعادة الدنيوية ، حيث قال ، صلوات الله وسلامه عليه :

« أربع من السعادة : المرأة الصالحة . والمَسْكَنُ الواسِع . والجَارُ الصَّالِحُ . والمركب الهَنِيُّ »(٣) .

فيجب على الزوجة المسلمة أن تكون دائماً نظيفة فى بيتها ، نظيفة فى أولادها ، نظيفة فى نفسها ، فالنظافة استجابة لأمر الله تعالى فى قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٤) .

ويجب على الزوجة المسلمة أن تجعل من بيتها جنة صغيرة ، وذلك يعكس عظمة الإسلام وما يدعو إليه من توفير كافة أسباب السعادة فى الحياة الدنيا ، فقد وعد الله عز وجل المؤمنين بالحياة الطيبة فى الدنيا ، والسعادة فى الحياة الآخرة ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٥) .

فتستطيع الزوجة أن تُجَمِّلَ بيتها بأنواعٍ من الزهور والمناظر الطبيعية الجميلة ، وأنواع

---

(١) رواه الطبرانى بسند ضعيف .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٤) سورة البقرة ـ من الآية ٢٢٢ .
(٥) سورة النحل ـ الآية ٩٧ .

من النقوش والزينة الحلال ، والله سبحانه وتعالى يدعونا إلى متع الحياة الدنيا فيقول تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فالإسلام يدعو إلى أن تكون المرأة المسلمة جميلة فى بيتها ، جميلة فى ثوبها وفى نفسها ، وفى أولادها ، وفى كل ما يتصل بها من أمور الحياة الدنيا .

وقد قال رسول ﷺ :

« لا يدخل الجنة مَنْ كان فى قلبه مثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » فقال رجل :

إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا .

فقال ﷺ : « إن الله جميلٌ يحب الجمال » (٢) .

وأخرج أبو داود :

« أن رجلا جميلاً أتى إلى النبى ﷺ فقال :

إنى أُحِبُّ الجمال ، وقد أُعْطِيتُ منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوتنى أحد بشراك نعل ، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله ؟

قال الرسول : « لا ولكنَّ الكِبْرَ بَطْرُ الحَقِّ وغَمْطُ الناس » (٣) .

وإن كثيرًا من المسلمين والمسلمات يحتفظون بكتاب الله الكريم وآيات الله البينات فى لوحات فاخرة وأغلفة نفيسة لمجرد تزيين بيوتهم ، ومكاتبهم ، ومكتباتهم ،

---

(١) سورة الأعراف ـ الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) بطر الحق : إنكاره ، وعدم قبوله . وغَمْط الناس : احتقارهم وعدم الاعتراف بفضلهم .

وسياراتهم، والحقيقة أن آيات الله البينات أُنزلت على قلب رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه لتطهر بها النفوس وتزين بها الصدور ، وتُجْلَى بها القلوب تلاوةً وتدبرًا ، عقيدة وسلوكاً وخُلُقاً وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (١) .

إن أسلوب القرآن فى أبسط صوره هو فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ (٢) .

والعمل يكون فى ضوء من تقوى الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (٣)

والتقوى هى إيجابية الحياة فى ضوء كتاب الله ، وإن أفضل تعبير عن حبنا لكتاب الله هو أن نترجمه إلى حياة نابضة ، بدون إغراق فى مثالية معجزة ، أو واقعية عاجزة .

(جـ) توجيهات الإسلام فى تجميل بيوتنا وتزيينها :

١ـ تحريم الصور القائمة بذاتها ولها ظل (التماثيل) :

فيجب على الزوجة المسلمة وهى تزين بيتها وتجمله أن تراعى ما حَرَّمَهَ الاسلام من وسائل فيها تشبه بالكفار فى أى شىء . فقد حرم الإسلام أن يشتمل البيت المسلم على تماثيل ، وهى الصور المجسمة غير الممتهنة ، وجعل وجود هذه التماثيل سببًا فى أن تَفِرَّ منه الملائكة ، وهى مظهر رحمة الله ورضاه تعالى، حيث قال ﷺ :

« إن الملائكة لا تدخلُ بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير » .

وقد كَسَّرَ النبى ﷺ يوم فتح مكة جميع الأصنام التى كانت على الكعبة ، وفى جوفها ، وعلى الصفا والمروة وهو يقول :

﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة محمد ـ الآية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ١٠٥ .

(٣) سورة النساء ـ من الآية ١٣١ .

(٤) سورة ـ الإسراء ـ من الآية ٨١ .

وقد نفَّرَ الإسلام من التماثيل تنفيرًا شديدًا ، وحَرَّمَ صُنْعَهَا وَحَّرَم اقتناءها .

حكمة الإسلام فى تحريم التماثيل :

إن من القواعد الأساسية للشريعة الإسلامية الغراء سد كل المنافذ التى يتسرب منها شِرْكٌ جَلِيٌّ أو خَفِيٌّ إلى العقول والقلوب ، أو تشبه بالكفار بتصوير أوثان يصنعونها بأيديهم ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين ، وقد حدث لكثير من الأمم السابقة أن اتخذوا لموتاهم وصالحيهم صورًا يذكرونهم بها ، ثم طال عليهم الأمد فَقَدَّسُوهَا شيئًا فشيئًا حتى اتُّخِذَتْ آلهة تُعْبَد من دون الله ، كما حدث لقوم وَدٍّ ، وسُوَاع ، ويَغُوث ويَعُوق ونَسْرٍ ، التى ذكرت فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾(١) .

وقبل أن يُفْتَن الناسُ فى التماثيل كانت موجودة ، وقد سخر الله سبحانه الجن لسليمان عليه السلام ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾(٢) . ولم تحدث الفتنة فى التماثيل ، ولكن لما حَدَثَتِ الفتنةُ فى التماثيل ووصلت بالناس إلى قمة الشرك وقمة الكفر أصبحت حراماً لا حلالاً .

ولذلك حَرَّمَ الإسلام على المسلم أو المسلمة الاشتغال بصناعة التماثيل ، ولو كان صنعها لغير المسلمين .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

قدم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترتُ سهوةً لى بِقِرَامٍ (٣) فيه تماثيل ، فلما رآه تلون وجهه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : يا عائشة ، إنَّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضاهِئُون بخلق الله عز وجل »(٤) .

---

(١) سورة نوح ـ الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة سبأ ـ من الآية ١٣ .

(٣) السهوة : شىء فى مدخل البيت للستر . والقرام : الستر .

(٤) متفق عليه فى الصحيحين .

قالت عائشة رضى الله عنها ، فَقَطَعْتُهُ فجعلت منه وسادتين .

وأخبر النبى ﷺ أن :

« من صَوَّرَ صورة فى الدنيا كُلِّفَ يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبدًا »(١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما .

أن رسول الله ﷺ قال :

« إنَّ الذين يَصْنَعُونَ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يوم القيامة يُقَالُ لهم : أَحْيُوا ما خَلَقْتُم »(٢) .

وفى حديث قدسى عن رب العزة عز وجل ، يقول الله تعالى :

« ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِى ، فليخلقوا ذَرَّةً ، فليخلُقوا شَعِيرَةً ، فليخلقوا حَبَّة »(٣) .

٢ـ كراهية الصور الكاملة المنقوشة :

على أن الصور التى تُرْسَمُ فى لوحاتٍ ، أو تُنْقَشُ على الثيابِ والبسُطِ والجُدْرَان أظهر النبى ﷺ كراهيته لها فقط ، وليس هناك ما يدل على تحريمها .

اشترت عائشة رضى الله عنها نُمرقة فيها تصوير فلما رآها الرسول ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهة قالت :

يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله ، ما أذنبت ؟

قال ﷺ ما بال هذه النمرقة ؟

قالت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها .

فقال ﷺ :

---

(١) رواه البخارى وغيره عن ابن عمر .

(٢) متفق عليه فى الصحيحين .

(٣) متفق عليه فى الصحيحين .

« إنَّ أصْحَابَ هذه الصور لَيُعَذَّبُون يوم القيامة ويُقَالُ لَهُم : أحيوا ماخلقتم »[1] .

وفى رواية أخرى لحديث السيدة عائشة قالت :

« دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا مستترة بقِرام فيه صور ، فتلون وجهه ، ثم تناول الستر فهتكه ثم قال :

« إن من أشَّد النَّاسِ عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون خَلقَ الله » .

فقالت عائشة : فجعلت منه وساد تين » .

فالنبى أنكر الصورة فى الثوب حينما كانت تامة ، فلما قطع الثوب وجعل منه وسادتان وتفرقت أجزاء الصورة لم ينكرها النبى ، وارتفق بالوسادتين ، أمَّا صور الأشجار والأنهار والجبال فيجوز صنعها واقتناؤها .

ولكن بالطبع إذا كان موضوع الصورة مخالفاً لعقائد الإسلام وتعاليمه كتصوير النساء عاريات أو شبه عاريات ، ورسمهن أو تصويرهن فى أوضاع مثيرة للشهوات ، وإبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن ، كل ذلك لا شك فى حُرْمَتِه وحُرْمَة تصويره ، وحرمة نشره على الناس ، وحرمة اقتنائه واتخاذه فى البيوت أو المكاتب والمحال ، وتعليقه على الجدران ، وحُرْمَة القصد إلى رؤيته ومشاهدته .

وذكر ابن حجر فى شرحه للبخارى ، كما نقل عن أبى عربى :

إن الصور ذات الأجسام ، وذات الظل (التماثيل) حُرِّمَتْ بالإجماع ، سواء أكانت مما يُمْتَهَنُ أَوْلا ، ويلحق بها الصور المحفورة فى الحجر أو الخشب حفرًا تكون فيه جميع مميزات الصورة واضحة .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال :

كان رسول الله ﷺ فى جنازة فقال :

« أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ، ولا قبرًا إلا سَوَّاه ، ولا صورة إلا لَطَّخَها . فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فهابَ أهلُ المدينة ، وانطلق الرجل ثم رجع

---

(١) رواه البخارى .

فقال : يا رسول الله لم أدع بها وثناً إلا كسرته ، ولا قبراً إلا سويته ، ولا صورة إلا لطختها .

ثم قال رسول الله ﷺ :

« من عاد إلى شيء من هذا فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمد ﷺ »(١) .

وهذه الصورة التى أمر رسول الله ﷺ بتلطيخها وطمسها هى بقايا مظاهر الوثنية الجاهلية التى حرص رسول الله ﷺ على تنظيف المدينة من آثارها ، ولهذا جعل العودة إلى شيء منها كفرًا بما أنزل الله عز وجل .

وروى مسلم فى صحيحه عن حيان بن حصين قال :

قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ألا أبعثُك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألاَّ تَدَعَ صورة إلا طمستها ، ولا قبرًا مشرفا إلا سويته »(٢) .

ويستثنى من ذلك ما أجازه جمهور الفقهاء :

(أ) ما يُمْتَهَنُ كَلُعَبِ الأطفال ؛ لأن السيدة عائشة كانت لها لُعَبٌ تلعب بها وهى فى بيت النبى ﷺ ؛ لأنها جاءت إليه وعمرها تسع سنوات .

(ب) ما يمتهن بالاستعمال ، كالمخاد والوسائد ، وحجة ذلك ما روى عن السيدة عائشة من استعمال النبى ﷺ للثوب الذى فيه صور بعد تقطيعه .

(جـ) ما يُؤكل من تماثيل الحلوى .

٣ـ إباحة التصوير الفوتوغرافى:

ولا تنطبق هذه الكراهية على الصور الفوتوغرافية التى نحتاج إليها فى حياتنا ومعاملاتنا ، ففى فتوى للمرحوم الشيخ محمد نجيب المطيعى مفتى مصر الأسبق :

« أن الصور الفوتوغرافية ليست من التصوير المنهى عنه فى شيء ، لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد وضع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيواناً

---

(١) رواه أحمد . . وقال المنذرى : إسناده جيد .

(٢) رواه أيضاً أبو داود ، والترمذى . . وحيان بن حصين هو : أبو الهياج الأسَدِىّ .

خلقه الله تعالى ـ فالصور الفوتوغرافية عبارة عن ظلال مطابقة للأصل ، خالية من التكوين ، بعيدة عن التحوير عن الأصل . وأمر تحريم الصور مقصور على الصور البارزة ، والصور اليدوية التى تصنعها يد الإنسان .

٤ ـ صور الأقارب والعظماء :

كما يُكْرَهُ تجميل بيوتنا بصور أو تماثيل تخليدًا لذكرى أقارب أو عظماء بعد وفاتهم ، سواء بصور مادية أو تماثيل حجرية .

والطريقة المثلى التى يرضاها الإسلام هو تخليد هؤلاء فى القلوب والأفكار ، وعلى الألسنة بما قَدَّمُوا من خيرٍ وعملٍ ، وما تركوا وراءهم من مآثرَ صالحاتٍ تكون لهم لسان صدق فى الآخرين .

وماخُلِّدَ رسول الله ﷺ ـ وهو أحب خلق الله إلى الله ـ ولا خُلِّدَ خلفاؤه الراشدون ، ولا قادة الإسلام بصور أو تماثيل ، وإنماهى مناقب ومآثَر يتناقلها الخَلَفُ عن السَّلَف ، والأبناء عن الآباء مذكورة بالألسنة تعطر المجالس والندوات وتملأ العقول والقلوب بلا صور ولا تماثيل ؛ ولذلك نادى الخليفة الأول أبو بكر الصديق حين انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه :

« مَنْ كَانَ يعبدُ محمداً فإن محمدًا قد مات ، ومَنْ كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت » ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾(١)

إنَّ الغُلُوَّ فى التبجيل والتعظيم لا يقبله الإسلام للأموات ولا للأحياء ، ولم يقبله رسولنا ﷺ لذاته الشريفة .

وقال عكرمة فى قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١) .

قال : هم الذين يصنعون الصور ، وهى كل مصور ذات الأرواح .

٥ـ صورة الزفاف :

إن من التقاليد الغربية ، ومن مظاهر الحضارة المادية الزائفة تزيين البيت بصورة الزفاف ، تلك الصورة التى تقف فيها العروس وهى فى أبهى وقمة زينتها وجمالها جسماً ولبساً وزينة أمام رجل أجنبى لتبدأ حياتها الزوجية بهذا التقليد البعيد كل البعد عن قواعد الدين الحنيف فى المحافظة على كرامة المرأة من أول مراحل حياتها الزوجية .

علينا أن نتخلى عن سُنن الغرب وتقاليده لنتبع سُنَّة رسولنا المصطفى ﷺ . وصدق رسول الله ﷺ : فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى أنه قال :

« لتتبعن سنن مَنْ قَبْلَكُم شبرًا بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُم . قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى . قال فَمَنْ غيرهم ؟ » (٢) . وجحر الضب : كناية عن العادات الهدامة لقيم وأخلاق الأفراد والشعوب .

إن الالتزام بكتاب الله الكريم وسُنة حبيبه المصطفى ﷺ يجعل الإنسان المسلم والإنسانة المسلمة لا يقربان المحرمات فحسب ، بل يتقيان الشبهات ، لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الحلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ وبينهما مُتَشَابِهَات لا يعلمها كثيرٌ من الناس ، فَمَن اتقى الشُّبهات فقد استبرأَ لدينه وعِرْضِه .

ومَنْ وَقَعَ فى الشبهات كراع يرعى حول الحِمَى يوشك أن يُواقِعَهُ . ألا وإنَّ لكل

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٧ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وأحمد .

ملك حِمًى ، ألا وإنَّ حِمَى الله فى أرضه مَحارِمُه . ألا وإن فى الجسد مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صلح الجَسَدُ كله ، وإذا فسَدَتْ فسد الجسد كُله ، ألا وهى القلب » .

صدق رسول الله .

٦ ـ اقتناء الكلب فى البيت للزينة :

ممنوع تربية الكلاب بجميع أنواعها ـ ماعدا كلاب الصيد وكلاب الحراسة ـ وتربى خارج البيت .

قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخُلُ الملائكةُ بَيْتاً فيه كَلْبٌ ولا صُوَرة »(١) .

وفى سنن أبى داود عن علىٍّ بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » .

وقال الخطابى رحمه الله تعالى : قوله ﷺ :

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ، ولا صورة ، ولا جُنُب » . يريد بالملائكة الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحَفَظة ، فإنهم لا يفارقون الجُنُبَ وغير الجُنبِ .

وقد قيل إنه لم يرد الجُنب الذى أصابته الجنابة فأَخَّرَ الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ، ويتهاون بالغسل ، ويتخذه عادة ، سواء كان رجلاً أو امرأة ، فقالت عائشة رضى الله عنها :

« كان رسول الله ﷺ ينامُ وهو جُنُب ولا يمس ماء »(٢) .

والكلب المقصود هنا هو الذى يُقْتَنَى لا لزرع ولا لضرع ولا لصيد ، وإنما للزينة بغير ضرورة ، أما إذا اضطر إليه للحاجة إليه فى بعض الأمور ، أو لحراسة الدار ، فلا حرج إن شاء الله للحاجة اليه .

---

(١) مَرْوِىٌّ فى الصحيحين .

(٢) رواه الترمذى .

ويلاحظ أَنَّ سُؤْرَ االكلب نَجِسٌ يجب اجتنابه ، لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« إذا شَرِبَ الكلبُ فى إناء أحدكم فَلْيَغْسِلْهُ سبعاً » .

وفى رواية لأحمد :

« طهور إناء أحدكم إذا وَلَغَ فيه الكلبُ أن يغسله سبع مرات ، أولاها بالتراب » .

ويقول فضيله المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى الفتاوى :

« إن المقصود من العدد مجرد الكثرة التى يتطابها الاطمئنان على زوال أثر لعاب الكلب من الآنية ، وإن المقصود من التراب استعمال مادة مع الماء ، شأنها تقوية الماء فى إزالة ذلك الأثر ، وإنما ذكر التراب فى الحديث لأنه الميسور لعامة الناس كمادة قوية فى التطهير واقتلاع ما عساه يتركه لعاب الكلب فى الإناء من جراثيم . وعليه فيمكن التطهير المطلوب بأىٍّ من المطهرات القوية ، وإن لم تكن تراباً ولا من عناصرها التراب .

أما طيور الزينة : فليس فى تربية طيور الزينة فى البيت من حرج ، بشرط ألاَّ نحرمها قوتها وطعامها ، وأن نحفظها ونرعاها . وقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد تدل على جواز استئناس الطير كما تُستأنس الطيور والحيوانات الأليفة .

ثانياً : النظافة الحسية والطهارة الروحية :

(أ) النظافة الشخصية الحسية :

بعد أن استعرضنا ما يجب على المرأة المسلمة من العمل فى بيتها وتنظيفه وتجميله نستعرض لمحاتٍ مما يجب على المرأة المسلمة من نظافة شخصية حسية ، ونظافة قلبية روحية .

لقد حث عليه الصلاة والسلام على النظافة فى كل شىء : نظافة البيوت ، ونظافة الأبدان ، ونظافة الثوب ، ونظافة الأسنان ، وليس ذلك عجيباً ولا غريباً على دين جعل الطهارة مفتاحاً لأُولَى عباداته ، وهى الصلاة ، فلا تُقْبَلُ صلاةٌ من مسلم حتى يكون طاهرًا نقيًّا فى بدنه وثوبه ومكانه ، وقال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى طَيِّبٌ يحبُ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يحبُّ النظافةَ ، كريمٌ يحب الكَرَم ، جوادٌ يحب الجُوْدَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ ولا تَشَبَّهُوْا بِاليَهُودِ »(١) .

وقد عنى المسلمون الأوائل بنظافة أسنانهم ، وكان أفضل ما يَسْتَاكُون به من فروع شجر الأراك . وكان أصحاب النبى ﷺ يغدون ويروحون لا يفارقهم السواك .

وكانت زوجات النبى ﷺ يُدَاوِمْنَ على استعمال السواك . ويُستحب السواك عند كل صلاة ، وعند كل وضوء ، وعند تغيير النكهة بالنوم ، أو أكل بعض المأكولات ذات الرائحة . وفى الحديث الشريف :

« لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسّواكِ عند كل صلاة » .

ومن السنن التى أوصانا بها رسولنا الكريم ﷺ نَتْفُ الإبط ، وتقليم الأظافر . ويُسَنَّ أن يكون ذلك يوم الجمعة ، وقد مر بنا الحديث الشريف :

« مِنَ الفِطْرَة حَلْقُ العَانَةِ ، وتقليمُ الأَظَافِرِ ، ونَتْفُ الإبطِ وَالْخِتَان » .

ويركز النبى ﷺ على تقليم الأظافر ، فقد كان النبى ﷺ يأمر الأعراب الذين أسلموا بالتقليم ، وينكر عليهم ما يرى تحت أظافرهم . وفى الحديث الشريف :

« قُصُّوا أظَافِرَكُم ، وادفنوا قُلامَاتِكُم ، ونَقُّوا براجِمَكُم ، ونَظِّفُوا لثَاتِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ ، ولا تدخُلُوا عَلَيَّ قلحاً بخرًا » .

والبراجم : هى العقد التى فى ظُهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ .

ودفن القلامة : تغييبها تحت الأرض .

القلح : صُفْرة الأسنان . والبخرُ : نَتْنُ الفم .

ومن حكمة التوصية بتقليم الأظافر احتمال ألاَّ يصل الماء إلى البشرة فى حالة طول الأظافر لوجود حائل بين الماء وبين البشرة ، وذلك فى حالة الوضوء ، أو حالة الغسل من الجنابة للزوج أو الزوجة . ومعروف أن شرط صحة الصلاة : الطهارة : طهارة

---

(١) رواه الترمذى .

الثوب والبدن والمكان ، وأن الاستهتار بالنجاسة يؤدى إلى أمراض الدنيا وعذاب الآخرة، فضلا عن بطلان العبادة .

فالنجاسات كلها جراثيم ، والإسلام نظيف أمر بالنظافة .

وفى الحديث الشريف :

« تنزهوا من البول ، فإن عامة عذاب القبر منه » .

وقد أطلع الله نبيه ﷺ على المُعَذَّبَيْنِ فى قَبْرَيْهِمَا وقال :

« أمَّا أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأمَّا الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة » .

تلك هى بعض اللمحات عن النظافة الخلقية والحسية التى أمرنا بها ديننا الحنيف، وسنتعرض بعض لمحات عن النظافة الخُلقية الروحية وواجب الزوج فى هذا الصدد .

(ب) الطهارة الروحية وواجب الزوج بالنسبة للزوجه :

إن من أهم واجبات الزوج لزوجته أن يحافظ على دينها ويوجهها إلى الخير والفلاح ، فلا يقتصر الاهتمام على نظافة المظهر وسلامة الجسم وجماله فحسب ، بل عليه أيضاً أن يهتم بسلامة دينها وجمال خُلُقها ، وأن يقيها شقاء الدنيا والآخرة بأن تأتمر بما أمر الله، وتنتهى عمَّا نهى الله .

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(١).

قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية :

---

(١) سورة التحريم ـ الآية السادسة .

« اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، وأْمُروا أهليكم بالذِّكْرِ يُنَجِّيكُم الله من النار » .

وقال قتادة :

« تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها » (١) .

وذكر القُشَيْرِيُّ أن عمر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية :

« يا رسول الله نَقِى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ؟ فقال ﷺ :

« تَنْهَوْنَهُمْ عمَّا نَهاكُم الله ، وتَأْمُرونَهُم بِمَا أَمَر الله » .

وعن مقاتل :

« ذلك حق عليه فى نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه » .

فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب » (٢) .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فإذا كان الإسلام يفترض أساساً ولاية الإيمان بين المؤمنين والمؤمنات والتواصى بالمعروف والنهى عن المنكر فكيف يكون الحال بزوجين مؤمنين ؟

والنبى ﷺ يقول :

---

(٢) تفسير ابن كثير ـ ج ٤ .

(١) القرطبى ـ ج ١٨ .

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧١ .

« كُلكم راع وكُلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجلُ راعٍ فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكُلكم راعٍ ومسئول عن رعيته » (١) .

فلا يكفى أن يكون الزوج مؤمناً فيكتفى بنفسه وكأنه يرى ألاَّ تكليف على أهله ، والنبى ﷺ يقول : « والرجل راعٍ ومسئول عن رعيته » .

فعلى الزوجين أن يتواصيا بالحق ، ويتعاونا على عبادة الله تعالى ومَرْضَاتِه فى التمسك بكتاب الله وسُنة رسوله حتى لا يضلا أبدًا .

ولا تقتصر مسئولية الزوج عن زوجته فقط ، بل تمتد مسئوليته إلى البنت والأخت ومن يعولهن الرجل ، فالمسئولية عنهن أمام الله كبيرة .

فعليه أن يُحسن أدبهن ، ويربيهن تربية فاضلة ، ويدافع عن شرفهن وكرامتهن مادُمْنَ فى رعايته ، وإلاَّ فقد عرض نفسه لعذاب الله تعالى .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كان له ثلاثُ أخواتٍ ، أو ابنتان ، أو أختان ، فأحسن صُحْبَتَهُنَّ واتَّقَى الله فيهن فله الجنة » (٢) .

وعن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من كان له بنتٌ فأدَّبَهَا فأحْسَنَ أدَبَها ، وعَلَّمَها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نِعَمِ الله التى أسْبَغَ ، كانت له حجابًا من النار » (٣) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود .

(٣) رواه الحافظ أبو نعيم (تفسير القرطبى ـ ج ١٠) .

ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بأن تصون نفسها وتستر عورتها .

لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ (٣) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسماء رضى الله عنها عندما دخلت عليه فى ثياب رقيقة وبعد أن أعرض عنها :

« يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض فلا يصلح أن يُرَى منها إلاَّ هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه » (٤) .

وإن المدخل السليم والوسيلة للمحافظة على أخلاقيات الإسلام الحنيف هى المحافظة والمداومة على الصلاة ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، نحافظ ونداوم عليها ، ونعلم أولادنا وأزواجنا المحافظة والمداومة عليها .

قال الله تعالى :

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب ـ من الآية ٣٣ .

(٣) سورة النور ـ من الآية ٣١ .

(٤) متفق عليه .

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

وقال ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة :

« أى : استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها » .

فإن أول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيتٍ مسلم ، وأن يُوجه أهله إلى أداء الفريضة التى تصلهم بالله معه فتوحد اتجاههم العلوى فى الحياة ، وما أجمل الحياة فى رحاب بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله . ويصبر على إقامتها كاملة ، وعلى تحقيق آثارها ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فى المشاعر وفى السلوك فى القول وفى العمل ، فى الأخذ وفى الترك ، وإلاَّ فما هى صلاة مُقَامَة ، إنما هى حركات وكلمات .

ولننظر إلى قول الرسول ﷺ :

« رحم الله رجلاً قام فى الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أَبَتْ نَضَحَ فى وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت فى الليل فصلت وأيقظت زوجها فإنْ أَبَى نضحت فى وجهه الماء»(٢) .

فالصلاة هى الحِصْن الحصين والفلاح المبين ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إنَّ أول ما يُحاسَبُ به العبدُ يوم القيامة من عمله صلاته ، فإنْ صَلُحَتْ فقد أَفْلَحَ وأنجح ، وإنْ فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضة شيئاً قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقَصَ من الفريضة ؟ ثم تكون سائر أعمالنا على هذا » (٣) .

وعن ثابت رضى الله عنه قال :

---

(١) سورة طه ـ الآية ١٣٢ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حَسَن .

كان النبى ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله : يا أهلاه : صَلُّوا صلُّوا . وكان عمر إذا استيقظ ـ يعنى يصلى من الليل ـ أقام أهله (١) .

وقال القرطبى :

رَوَى مسلم أن النبى ﷺ إذا أَوْتَرَ يقول : « قومى يا عائشة » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله وأيقظ أهله وَجَدَّ ، وشَدَّ المِئْزَرَ ـ أى : شمر للعبادة ـ كناية عن اعتزال النساء والاجتهاد فى طاعة الله » (٢) .

قال الإمام الغزالى :

« على الرجل أن يعلم زوجته أحكام الصلاة ، وما يقضى منها فى الحيض ومالا يُقْضَى ، فإنه أُمِرَ بأن يقيها النار ؛ لقوله تعالى : ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعتْ إليها ، ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر دينها ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ماتحتاج إليه » (٣) .

فيجب على الزوج أن يفقه زوجته فى أحكام الطهارة ، وما يتعلق بالحيض والنفاس .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أَنْفِقْ على أَهْلِكَ ولا تَرْفَعْ عنهم عَصَاكَ وأَخِفْهُمْ مِنَ الله » (٤) .

فيجب على الزوج أن يوضح لزوجته جميع ما أمر الله به ونهى عنه ، فإنه سَيُسْأَلُ عن كل هذا يوم القيامة .

---

(١) تفسير ابن كثير ـ ج ٣ .
(٢) متفق عليه (رياض الصالحين) .
(٣) إحياء علوم الدين ج ٢ .
(٤) نيل الأوطار ـ ج ٦ .

فقد ورد أن الزوجة ستتعلق يوم القيامة برقبة زوجها هذا وتقول :

« يا رب خُذْ لى حقى من زوجى ؛ لأنه كان يرانى أفعل كذا من الموبقات فلم يَنْهَنِى ، وكان يرانى أبتعد عن فعل كذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرنى » .

وهكذا فإن أعظم شىء وأجمل مظهر للبيت المسلم النظيف نظافة حسية ونظافة روحية هو أن يُحافِظَ كل من فيه ـ رجالاً ونساءً ، شيوخاً وفتياناً ـ على الصلاة ، ويداوموا عليها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول :

« أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحَدِكُم يغتسلُ فيه كل يوم خمسًا ، أيَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَىْءٌ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال الرسول : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا » .

وتأكيدا لحرص الإسلام على أن يكون كل سلوك المرأة المسلمة فى إطار كامل من النظافة والطهارة حَرَّمَ على الحائض والنفساء التعبد بصوم أو صلاة أو قرآن أو قربان زوجها حتى تتطهر من دمها ، فتعيد الصوم دون الصلاة .

وكان الحسن البصرى يقول :

« يا بن آدم ، أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانَتْ عليك صلاتُكَ ، وأنت أولُ ما تُسْأَلُ عنها يوم القيامة ؟ كما تقدم من قول النبى ﷺ :

« أول ما يُحاسَبُ العبدُ يوم القيامة من عمله صلاتُه ، فإن صَلُحَتْ فقد أفْلَحَ وأَنْجَحَ ، وإن فسَدَتْ فقد خاب وخَسَر ، فإن انتقص من الفريضة شىء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبدى مِنْ تَطَوُّعٍ فُيكْمِلَ به ما انتَقَصَ من الفريضة ؟ ثم يكون سائر عمله كذلك » .

ثالثاً : الضيوف :

(أ) استقبال الضيف وإكرامه :

إن البيت المسلم الطيب هو بيت كَرَم وَمَودَّة ، فيجب على الزوجة المسلمة أن تجعل من بيتها بيت فضل وكرم ، حيث يقول الله تعالى :

﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

على أن يكون استقبال الضيف وإكرامه فى حدود الإمكانات المتاحة لأهل البيت ، حيث يقول الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) .

ويقول الرسول الكريم ﷺ :

« لا تكلفوا الضيف فتبغضوه » .

وقد نهانا الله عز وجل عن الشح ، حيث يقول تعالى :

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣) .

ويقول ﷺ :

« اتقوا الظُّلْمَ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشُّحَّ ، فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

ويقول ﷺ : « إياكم والشُّحَّ ، فإنما أَهْلَكَ مَنْ كان قبلكم الشُّحُّ ، أَمَرَهُم بالكذِبِ فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقَطيعَة فَقَطَعُوا » . ويقول عز وجل فى حديث قدسى : « أُحِبُّ ثلاثةً ، وحُبِّى لِثَلاثَةٍ أَشَدُّ :

أُحِبُّ الغَنِيَّ الكَرِيمَ ، وحُبِّى للفَقِيرِ الكريمِ أَشَدُّ .

وأحب الشيخَ الطائِع ، وحُبى للشاب الطائع أَشَدُّ .

وأحب الشيخ المتواضع ، وحبى للشاب المتواضع أشد .

وأُبْغِضُ ثلاثة ، وبغضى لثلاثة أشد .

أُبْغِضُ الفَقِيرَ البَخيلَ ، وبُغْضِى لِلْغَنِيِّ البَخيلِ أَشَدُّ .

وأبغض الشابَّ العاصِىَ ، وبُغْضِى للشيخ العاصى أَشَدُّ .

وأبغض الشابَّ المتكبر ، وبُغْضِى للشيخ المتكبر أَشَدُّ » .

---

(١) سورة يونس ـ من الآية ٨٧ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة الحشر ـ من الآية ٩ .

ويجب أن يكون إكرام الضيف لوجه الله تعالى ، وألاَّ يَمْتَنَّ على الضيف بما قدمه له من معروف ، فقال ﷺ :

« لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ خِبٌّ ولا بِخِيلٌ ولا مَنَّانٌ »(١) .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال :

« إيَّاكم والمَنَّ بالمعروف ، فإنه يُبْطِلُ الشكر ، ويمحقُ الأجر » .

ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾(٢) .

وقال حكيم :

« مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ ، ومَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُحْسِنْ إلى جَارِه .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه »(٣) .

(ب) السيدة فاطمة الزهراء نموذج للإيثار :

وليكن فى سيرة الطاهرة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أُسوة حسنة لكل امرأة مسلمة فى البذل والعطاء .

نذرت هى وزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه صيام ثلاثة أيام شكرًا لله عز وجل على شفاء ولديهما الحسن والحسين . وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه ، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب . والخِبُّ : الخَدَّاع الخبيث .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٦٤ .

(٣) رواه الشيخان .

وفى اليوم الثانى اسْتَطْعَمَهُمْ يتيمٌ ، فَأَطْعَمُوه .

وفى اليوم الثالث سألهم أسير فَقَدَ أَمْوالَهُ فَقَدَّمُوا له طعامهم .

وهكذا بقى أهل البيت ثلاثة أيام لم يتذوقوا فيها غير الماء ، فأنزل الله فيهم آياتٍ بَيِّنَاتٍ إعظامًا لشأنهم ، وإكبارًا لعملهم ، ليكونوا القُدوة ، وليكونوا المَثَلَ الطيب للتضحية والإيثار ، فقال تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾(١) .

وجدير بالذكر أن يكون ذلك كله فى إطار توجيهات رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الشريف حيث قال :

« لا تُصَاحِبْ إلا مؤمناً ، ولا يأكل طَعَامَكَ إلا تَقِىٌّ »(٢) .

ذلك المبدأ العظيم الذى وضعه لنا معلمنا ورسولنا ﷺ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المَرْءُ مَع مَنْ أحب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المَرْءُ على دِين خَلِيلِهِ فلينظر أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِل »(٣) .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « ما من شىء أدل على شىء ، ولا الدخان على النار ، مِنَ الصَّاحب على الصاحب » .

وقال بعض الأدباء : « يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بِقَرينه » .

وروى ابن عساكر عن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) سورة الإنسان ـ الآيات من ٨ ـ ١١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

« إياكَ وقَرِينَ السُّوء ، فإنَّكَ بِهِ تُعْرَف » .

وقال عدى بن زيد :

عن المرءِ لا تَسْأَلْ وسَلْ عن قرينــه فَكُــلُّ قــرينٍ بـالمُقَــارَنِ يَقْتَــدِى

إذا كُنْتَ فى قَوْمٍ فَصاحِبْ خِيَارَهُمْ ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَع الرَّدِى

وحديث رسول الله ﷺ : « الناس معادنٌ ، خيارهُم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » يعنى أن كل امرىء يتصرف بما طُبِعَ عليه ، فالإنسان حَسَنُ المعدن ، كريم الأصل ، يلتزم المروءة ، ويتحرى الخير والبر والإحسان دائماً ، فإذا لَيَّنَ الله قلبه بالإيمان الكامل وعمره بالعلم النافع كان خير الناس .

(ج) اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل :

عن أبى سعيد الخُدْرِىِّ رضى الله عنه قال :

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أُمامة فقال الرسول :

« يا أبا أُمامة ، مالى أراكَ جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ » .

قال : هُمومٌ لَزِمَتْنِى ودُيُونٌ يا رسول الله :

قال الرسول : « أفلا أعلمك كلاماً إذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ الله هَمَّكَ ، وقضى عنك دَيْنَكَ؟ » .

قال : قُلْتُ : بلى يا رسول الله .

قال : قل : إذا أَصْبَحْتَ وإذا أمسيت :

« اللهم إنى أعوذ بك مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ ، وأَعُوذُ بِكَ من العَجْزِ والكَسَلِ ، وأعوذُ بِكَ مِنْ الجُبْنِ والبُخْل ، وأعوذ بك مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرجال » .

قال : ففعلتُ ذلك فَأَذْهَبَ الله عنى غَمِّى ، وقَضَى عَنِّى دَيْنِى (١) .

---

(١) أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم عن جزاء السخى :

« السَّخِيُّ قريبٌ من الله ، قريب من الناسِ ، قريب من الجنة ، بعيدٌ من النار ، والبخيل بعيدٌ من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، ولَجَاهِلٌ سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل » (١) .

وقال ﷺ : « ما كان فى الله تَلَفُهُ كَانَ عَلَى الله خَلَفُهُ » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « يَا بْنَ آدم ، إنَّكَ إنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ من مَالِكَ خَيْرٌ لك ، وإنْ تمسكه شرٌّ لك ، ولا تُلامُ على كفافٍ ، وابدأ بِمَنْ تَعُولُ ، واليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليد السُّفْلَى » (٣) .

ومن طريفُ ما قاله الإمام الجنيد : « أربع لا ينبغى لشريفٍ أن يَأْنَفَ منهن ، وإنْ كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم يتعلم منه ، والسؤال عَمَّا لا يعلم مِمَّنْ هو أعلم منه ، وخدمته الضيف بنفسه إكراماً له » (٤) .

ويلاحظ أنه من التصرفات السيئة التى لا تليق بالمرأة المسلمة ، والتى لا تمت إلى الإسلام بصلة حِرْصُ الزوجة بدافع من نفسها أو بإيعاز من زوجها أن تُشاركه فى الترحيب بضيوفه ومُجالستهم وتبادل أطراف الحديث معهم بملابسها وزينتها التى تحرص عليها كثيرًا فى مثل هذه المناسبات . ولقد حددت أوامر القرآن الكريم وهدى السنة النبوية الشريفة بكل دقة ما يجب أن تكون عليه المرأة فى حضرة الرجال الأجانب مِنْ سَتْرِ محاسنها ، وعدم التزين بما يلفت الأنظار إليها ، ومن الأدب فى القول ، والحياء عند الكلام ، ومن عدم الخَلْوَة بأجنبى مهما كانت صلته بزوجها ، ومن حُرْمَة التلامس بالمصافحة وغيرها ، بينها وبين من لا توجد بينها وبينه قرابة محرمة .

وإن محاولة البعض إثبات أن الدين لا يأبى ذلك بل يدعو إليه ، استناداً للحديث

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو حيان التوحيدى .

الذى رواه البخارى وترجم له بقوله : « بابُ قيامِ المرأة على الرجال فى العُرْسِ وخدمتهم بالنفس » .

فقد رُوِىَ عن سهل بن سعد قال : لما عَرَّس أبو أُسَيْدٍ السَّاعِدى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قَرَّبَهُ إليهم إلا امرأته أم أسيد ، بَلَّتْ تمرات فى تَوْرٍ (١) من حجارة ، فلما فرغ النبى ﷺ من الطعام أماءَتْهُ أى خلطته بالماء ـ له فسقته تُتْحِفُه بذلك .

وهذا حديث صحيح ، والحادثة التى فيه إما أن تكون قد وقعت قبل فَرْضِ الحجاب أو بعد فرضه ؛ لأن الحجاب فُرِضَ بعد الهجرة بثلاث سنوات أو أربع أو خمس سنوات .

فإن كانت الحادثة قد وقعت قبل فرض الحجاب فلا يصح أن يُسْتَدَلَّ بها على ما يدعيه المنادون المتحمسون لتحرر المرأة ، وإن كانت الحادثة قد وقعت بعد فرض الحجاب فمن المقطوع به أن أُمَّ أسيد كانت ملتزمة للحجاب الذى فرضه الله غير كاشفة لماأمر الله بستر، ، لا تُسَلِّمُ ولا تُصافِح المدعوين على الوجه المعروف الآن ، وإلاَّ لما أقرها رسول الله ﷺ على ذلك مطلقًا .

وعليه فإن مثل هذا النص لا يجوز أبدًا أن يُتَّخَذَ مُنْطَلَقًا للإباحة للمرأة أن تُجالِسَ أصدقاء الزوج وتُشاركهم فى سهراتهم ، وأن كل ما يحدث الآن من هذا الاختلاط السافر المنطلق حرام ، وأىُّ حرامٍ .

وإذا كنا قد أوضحنا ما يجب على البيت المسلم نحو الضيف من تكريم وإكرام فى حدود الالتزام بما أمر به الله عز وجل ، فهناك أدب إسلامى يجب أن يلتزم به الضيف أيضًا :

ففى قوله تعالى فى آية الحجاب فى سورة الأحزاب :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ

(١) التور : إناء يُشْرَب فيه .

طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾(١).

جاءت هذه الآية الكريمة تعلم الناس ألاّ يدخلوا بيوت النبى بغير إذن ، فإذا دُعُوا إلى الطعام دَخَلُوا ، أما إذا لم يُدْعَوْا فلا يَدْخُلُون يترقبون نُضْجَهُ ـ ثم إذا طَعِمُوا خَرَجُوا ولم يبقوا بعد الطعام للسَّمَر والأخذ بأطراف الحديث للسَّمَر .

وإذا كانت القاعدة هى أن العبرة بعمومية اللفظ لا بخصوصية السبب ، فما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ اليوم إلى هذا الأدب . إن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده، بل إنهم ليتخلفون على المائدة ، ويطول بهم الحديث ، وأهل البيت الذين يحتفظون ببقية مِنْ أمْر الإسلام بالاحتجاب ـ متأذون محتبسون ، والأضياف ماضون فى حديثهم وفى سمرهم لا يشعرون .

وفى الأدب الإسلامى غناء وكفاء لكل حالة لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهى القويم .

ومن ناحية أخرى فإنه يجوز للمسلم أن يستضيف غير المسلم ويدعوه إلى حفل زواجه وما شابه ذلك ، على أساس أن الصلة بين المسلم وغير المسلم فى البر والعدل والتعامل مؤسسة على قوله تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢).

وعلى هذا الأساس يجوز للمسلم أن يستضيف غيرالمسلم مادام غير المسلم لم يؤذ المسلمين ولم يقاتلهم فى الدين ، والمؤمن يكون شأنه آلِفاً مَألوفاً ، كما قال ﷺ :

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية ٥٣ .

(٢) سورة الممتحنة ـ الآيتان : ٨ ، ٩ .

(المؤمن آلِفٌ ، ولا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَف ، وخير الناس أنفعهم للناس »[1] .

كما أنه لا مانع من إجابة دعوة غير المسلمين وحضور حفلاتهم تأليفاً لقلوبهم ، وتطييباً لخاطرهم ما لم تكن هناك منكرات ، ويجوز أكل طعامهم مادام الطعام لم يشتمل على محرم ، ومادام متأكدًا من التسمية على الذبح وطريقته الموافقة للشرع .

رابعاً : الخدم :

(أ) يجب أن يكونوا من المسلمين :

إذا كنا قد أوضحنا أنه يجب أن يكون مبدأ الأسرة المسلمة فيمن تستضيفه هو حديث أسوتنا الحسنة الرسول الكريم ﷺ : « لا تُصاحِبْ إلاَّ مؤمناً ، ولا يأكُل طعامك إلا تَقِيٌّ » . فيجب علينا أيضًا أن نلاحظ عندما نستقدم خدمًا للعمل فى البيت ، أو لقيادة السيارة ، أن يكونوا من المسلمين ، فإن استخدام مَنْ لا دِين له من الرجال أو النساء فى الخدمة يتسبب عنه مضار بليغة ، ومخاطر كثيرة على المجتمع عامة ، وعلى الأسرة خاصة .

وعموماً فإن ما تفعله كثير من الأسر الإسلامية التى أفاء الله عليها بالثراء والغِنَى من استخدام رجال أجانب ، واتخاذهم إياهم سائقين لسياراتهم ، وخدمًا فى بيوتهم لأَمْرٌ غاية فى الخطورة .

فكيف نمنح مثل هؤلاء ثقتنا ونأمنهم على حرماتنا وأعراضنا .

إن كثيراً من الأسر الثرية يدفعون ببناتهم إلى سائق أجنبى يغدو بهم ويروح من البيت إلى المدرسة ، والسوق والنزهة . وهم بذلك يخالفون تعاليم الإسلام وشريعته الحكيمة .

ولا يجوز لنا شرعاً أن نذهب إلى أعمالنا ونترك زوجاتنا وبناتنا ـ المراهقات والقصر ـ فى البيت مع هذا الخادم الأجنبى ـ مسلماً كان أو غير مسلم ـ يخلو بهن ويَخْلُوْن به ، والرسول ﷺ يقول :

« لا يَخْلوَنَّ رجلٌ بامرأة إلاَّ ومعَها مَحْرمٌ » .

---

(١) رواه الحاكم والبيهقى .

لقد جعل الله البيوت سكناً يفيء إليها الناس لتسكن أرواحهم ، وتطمئن نفوسهم ، ويأمنوا فى حِلِّهِمْ وترحالهم على مَنْ خَلْفَهُم من حُرُمات ؛ لذا فقد وضع الشرع لها حدودًا وآداباً ، وجعل مِنْ حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تأذن لأجنبى بدخول البيت ، ولو أَذِنَ له الزوج بذلك ، فلا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فى معصية الخالق ، كُلُّ ذلك صيانةً للأعراض من أن تُنْتَهَكَ بمنع أسبابها من خلوة واختلاط .

فعلينا أن نتنبه إلى ذلك الخطر الوبيل الذى بدأ يتفشى فى كثير من الأُسَر الاسلامية قبل أن تُنْتَهَكَ العُروض فى عقر الدار ، وقبل أن تُستباح الحُرمات فى غفلة من الأزواج والآباء .

(ب) حسن معاملة الخدم :

إذا كان من واجبات الزوجة الأساسيَة حُسْنُ معاملة الزوج وأهله بخُلق طيب كريم، فإن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ يوصى كُلاً من الزوج والزوجة بِحُسْنِ معاملة الخدم :

وكان رسول الله ﷺ يُعامل خَدَمَهُ بكل رفق ، ويأمر بمعاملتهم معاملة عادلة كريمة .

قال أنس رضى الله عنه : « والذى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، ما قَالَ لى فى شىء قط كَرِهَهُ : لِمَ فَعَلْتَهُ ، ولا لأمنى نِساؤُه ، إلا قال : دَعُوْه ، إنما كان هَذا بكتابٍ وَقَدرٍ » .

وكان أنس خادمَ رسول الله ﷺ .

وقال عليه الصلاة والسلام : «إخوانُكم خَوَلُكُم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل اللهُ أَخَاهُ تحت يده فليُطْعِمْهُ مِمَّا يأكُل ، ولْيُلْبِسْهُ مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فَلْيُعِنْهُ عَلَيْه »(١) .

وفى الحديث الشريف « للمملوك طعامه وكسوته ولا يُكَلَّفُ ما لا يطيق »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « إذا أَتَى أحدكم خادمه

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

بطعامه فإن لم يُجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين ، أو أكلة أو أكلتين ، فإنه وَلِيُّ عِلاَجِه »(١) .

فعلى المسلم أن يُجلس خادمه معه ليأكل ، وإلا فليجعل له من الطعام نصيبًا ؛ لأن نفس الخادم قد تعلقت بالطعام وشم رائحته وتفتحت له شهيته ، كما أن لعينه حظًّا فى المأكول ، فينبغى صرفها بإطعام صاحبها لتسكن نفسه .

وقوله ﷺ : « فليناوله لقمة أو لقميتن » هذا إذا كان الطعام قليلاً ، أما إذا كان الطعام كثيرًا فإما أن يُجلسه معه ، وإما أن يجعل له حظًّا منه يكفيه . والأمر بالإجلاس والمناولة للندب على الراجح عند الشافعية ، والإجلاس أفضل إذا لم تكن هناك ريبة ، أما إذا كانت هناك ريبة بأن الخادم أنثى حرة والمخدوم غير محرم لها فلا يجوز الإجلاس خشية الفتنة ، بل عليه أن يجعل للخادم حظًّا من الطعام يكفيه ، أويناوله منه . وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الطعام من غالب القوت الذى يأكل منه مثله فى ذلك البلد . وكذلك القول فى الأُدْم والكسوة .

وكان ﷺ يوصى صحابته عند خروجه من الدنيا وهو فى فراش الموت ويقول حتى لجج لسانه وخفى كلامه :

« الله الله فى الصلاة وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكم ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تأكلون ، واكسُوهم مما تَكْتَسُون ، ولا تُكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإنه مَلَّكَكُمْ إياهم ، ولو شاء لَمَّلَكَهُم إياكم » (٢٢) .

وكان فى يد النبى ﷺ يومًا سواكٌ فدعا خادمًا ، فأبطأ عليه فقال :

« لولا القِصَاصُ لَأَوْجَعْتُك بهذا السِّواك »(٣) .

وبالالتزام بذلك الهدى النبوى يكون البيت المسلم الطيب الكريم الذى تشع منه المحبة والمودة والخُلق الإسلامى لكل من يعيشون فيه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الطبرانى من حديث زيد بن حارثة .

(٣) رواه أحمد من حديث أم سلمة .

(جـ) الخدم ليس نوعاً من أنواع الرق :

ويجب أن نلفت النظر إلى أن الخدم ليس نوعاً من أنواع الرق ، فالخَدَمُ هم أُناس لهم كامل الحرية ، ويعملون لدينا بأجرٍ ، ولهم الحق فى حُسْنِ المعاملة ، وإنْ شاءوا تركوا العمل فى أى وقت بدون أى قيد .

أما الرق فقد قَضى عليه الإسلام قضاءً تامًّا . وكان الرقُّ أبغضَ الأشياء إلى الرسول ﷺ فقد آلَ إليه عَبْدٌ ـ هو زيد بن حارثة ـ من زوجه السيدة خديجة ، فأعتقه وتبنَّاه ، فكان يُدْعَى زيدُ بْنَ محمد ، عليه الصلاة والسلام ، حتى ألْغَى الإسلامُ نظام التبنى ، بقوله تعالى :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾(١)

وقد اعتق الرسول كثيراً من الرجال والنساء قبل بعثته رسولا وبعدها ، وذلك من ماله ومال زوجته السيدة خديجة ، وكذلك فعل أبو بكر (٢) .

وثبت أن الرسول ﷺ لم ينشىء رقًّا على حُرٍّ ، ولا سمح فى عصره بشىء من ذلك .

لقد جاء الإسلام فانتشل المعذبين فى الأرض من حضيض الذل والمهانة إلى قمة الحرية والكرامة الإنسانية .

لقد أعلن رسول الإسلام قائلا :

« مَنْ قَتَلَ عبده قَتَلْنَاه ، ومن جَدَعَ عَبْدَهُ جَدَعْنَاه، ومن أَخْصَى عَبْدَهُ أَخْصَيْنَاهُ»(٣).

وعن ابن مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه قال :

« كنت أضرب غلاماً لى ، فسمعتُ من خلفى صوتاً « اعلم أبا مسعود أنَّ الله أقدرُ عليك مِنْكَ على هَذَا » فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هو حُرٌّ

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية الخامسة .

(٢) السير الكبير للإمام الشيبانى ص ٧٥ .

(٣) رواه أصحاب السنن والدارمى .

لوجه الله تعالى : فقال الرسول : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ » (١) .

ومن صفات الرسول ﷺ التى وردت فى بعض الكتب :

« أنه كان لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وإنما يغضب للحق وللدين ، وحينئذ لا يقوم لغضبه شىء . ما ضَرَبَ خادمًا ، ولا امرأة قط ، وما ضرب بيده شيئًا إلا أن يكون جهادًا فى سبيل الله » .

وقد عمل الإسلام على القضاء على الرق بصورة تدريجية ، فحرَّمَ فى البداية مصادر الرق كلها ، عدا رق الوارثة ورق الحرب ، ووضع على هذين المصدرين قيودًا من شأنها أن تؤدى بها إلى النضوب بعد فترة من الزمان .

فمن أهم القيود على رق الوراثة :

أن الأَمَةَ (الجَارِية) التى تلد من سيدها ومالكها يصبح ولدها حُرًّا إذا اعترف به السيد ، أَمَّا هِىَ فَتُسَمَّى أم الولد ، ولا يصح لسيدها أن يبيعها أو يهبها ، وتصبح حرة بعد موت سيدها .

وهذا القيد أدى إلى نضوب هذا المصدر بعد أمد غير طويل (٢) .

ولذلك يؤثر عن الرسول ﷺ قوله ، بعد أن رُزِقَ بابنه إبراهيم من مارية القبطية : «أَعتَقَها وَلَدُهَا » .

وكان من رفق الرسول بالرق أنه يَرَى أنَّ مَنْ لَطَمَ عبده على وجهه فَكَفَّارَتُه عِتْقُه . وكان ينصح الناس بقوله ﷺ :

« لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِى وَأَمَتِى ، وَلْيَقُلْ : فَتَاىَ وَفَتَاتِى » (٣) .

وقال تعالى فى زواج الأمة :

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ضُحَى الإسلام لأحمد أمين .

(٣) متفق عليه .

فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1] .

ومن أهم القيود على رق الحرب :

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[2] .

فهذا النص القرآنى كما يقول الإمام الشيبانى فى السير الكبير يُخَيِّرُ بين أمرين اثنين :

إمَّا أنْ يَمُنَّ القائد أو ولى الأمر من المسلمين على الأَسْرَى بالحُرية بدون مقابل .

وإمَّا أن يفتدى الأسرى بمال أو بأسرى مثلهم ، وهو ما يسمى حاليا بتبادل الأسرى .

وهذا النص دليل على منع الرق .

وبذلك قضى الإسلام على الرق قضاء نهائيًّا [3] .

* * *

(١) سورة النساء ـ الآية ٢٥ .

(٢) سورة محمد ـ من الآية الرابعة .

(٣) مبادىء نظام الحكم فى الإسلام ـ دكتور عبد الحميد متولى ـ الطبعة الرابعة .